للمذهب الجديد على القديم من المزية والحسن ، ومن الموازنة بين شاعر مطبوع مثل شكرى وآخر ممن ينظمون بالصنعة مثل حافظ بك إبراهيم ، فإن الله لم يخلق اثنين هما أشد تناقضًا فى المذهب وتباينًا فى المنزع من هذين ، والضد كما قيل يظهر حسنه الضد- حافظ رجل نشأ أو ما نشأ ما بين السيف والمدفع ، من أجل ذلك ترى فى شعره شيئًا من خشونة الجندى وانتظام حركاته واجتهاده وضعف خياله وعجزه عن الابتكار والاختراع والتفنن . ولعل هذا السبب أيضًا فى أن حافظ لا يقول الشعر إلا فيما يسأل القول فيه من الأغراض ، بيد أنه على ما به من ضيق فى المضطرب وتخلف فى الخيال كان أفصح لسان تنطق به الصحف وأقدر الناس على نظم معانيها وتنضيد أخبرها وتنسيق فقرها لو أن هذا مما يحمد عليه الشاعر أو أن فى هذا فخرًا لأحد : شاعرًا كان أو غير شاعر ، وأما شكرى فشاعر لا يصعد طرفه إلى أرفع من آمال النفس البشرية ولا يصوبه إلا إلى أعمق من قلبها ، ذلك دأبه ووكده ، وهو لا يبالغ كحافظ فى تحبير شعره وتدبيجه بل حسبه من الوشى والتطريز أن يسمعك صوت تدفق الدماء من جرح الفؤاد وأن يفضى إليك بنجوى القلوب والضمائر . وأن يريك عيون الندى على خدود الزهر وافترار ضوء القمر عن مكفهر القبور ووميض الابتسامات فى ظلام الصدور وأن ينشقك نسيم الرياض وأنفاس السحر وأن يشعرك هزة الحنين ودفعة اليأس والأمل وأن يغوص بك فى لجج الفكر .

ثم يمضى المازنى فى هذه الموازنة خلال ثلاث مقالات يورد فيها أبياتًا لشكرى وأخرى لحافظ فى معان وأغراض متقاربة مفضلا شكرى على حافظ ، حتى إذا فرغ من هذه الموازنة التى تسقط فيها مواضع ضعف حافظ وتبريز شكرى مما دفع بعض القراء فيما يظهر إلى اتهامه بأنه يغفل دائمًا جيد حافظ ليستشهد بردىئه ،